محمد راتب الحلاق

من يَهُوه الى شَارون

الأساطير المؤسسة للإرهاب الصهيوني



منشورات الطليعة 2010

من يَهُوه إلى شَارون

الأساطير المؤسسة للإرهاب الصهيوني

محمد راتب الحلاق

المشروع الصهيوني جزء أساس من المشروع الرأسمالي الغربي في المنطقة العربية، ونسق عضوي من أنساقه؛ وماكان للفكرة الصهيونية أن تزدهر، وأن تحقق ما حققته على حساب العرب وحقوقهم لولا الدعم اللا محدود الذي حظيت به، وما تزال، من دول الغرب... ويوم يرفع الغطاء الغربي عنها ستزول وتندحر، لقصور ذاتي فيها، ولمجافاتها لطبائع الأمور، ولأنها تقوم على أوهام وترهات تاريخية وأيديولوجية منتهية الصلاحية معرفياً، بل لم يكن لها في يوم من الأيام أية مصداقية معرفية أصلاً.

فالصراع بين العرب والصهاينة هو في الحقيقة صراع مع المصالح الامبريالية الغربية عموماً، ومع المصالح الأميركية خصوصاً، منذ أن تسلمت الولايات المتحدة الأميركية قيادة الدول الغربية الرأسمالية، بحكم قوتها الاقتصادية والعسكرية، وبحكم تمركز الشركات العملاقة عابرة القارات فيها. ويخطئ من يظن أن الولايات المتحدة يمكن أن تكون شيئاً آخر غير الصهيونية.......

فهي، والحالة هذه، لا يمكن أن تكون وسيطاً نزيهاً، وحكماً عادلاً، وراعياً للسلام.... لأنها، وببساطة شديدة، هي الخصم والحكم. وأنا في بحثي هذا، وإن كنتُ أعتزم التركيز على الأوهام والترهات والأساطير التي يقوم عليها الفكر الصهيوني العنصري، وعلى دورها في حقن أوداج الصهاينة بدماء العنف والحقد والكراهية... وعلى دور إلههم (يهوه)، في ذلك كله... فإنني لا أنوي أن أغيّب الحقائق المادية والواقعية، وإلا أكون قد وقعت، من حيث لا أريد، في شباك تلك الترهات والأساطير، ودخلت في سجال عقيم معها.... وإنما أريد، من خلال مقاربتي لبعض تلك الأساطير والأوهام أن أبيّن كيف أن تلك الهلوسات قد قدمت الغطاء الأيديولوجي والمهاد العقيدي في سبيل تجييش المهووسين، وإيقاظ نوع من الهيستريا العنصرية الفجة، بعد أن هجعت طويلاً في هوامش التاريخ المنسي.

وتقوم تلك الأوهام والأساطير على ركيزتين تقول أولاهما: إن فلسطين هي ملك أبدي (لبني إسرائيل)، حسب وعد قطعه (رب الجنود يهوه)، لإبراهيم وإسحق ويعقوب؟!!!.. وتقول الثانية: إن اليهود هم شعب الله المختار، لما يمتلكه من صفات ومزايا يفتقدها الآخرون؟!!!... وقد ترتب عن تيْنك الركيزتين فكر عنصري مغلق، جعل اليهود في مواجهة مستمرة مع الأمم والشعوب، التي وضعوها في درجة أدنى.

والملاحظ أن الرأسماليين الغربيين، ابتداء من القرن الثامن عشر، خصوصاً في القرن التاسع عشر، قد عادوا إلى الدفاتر القديمة، واستغلوا تلك الأوهام والأساطير لضرب عصفورينْ بحجر واحد كما يقولون: لحل ماكان يعرف بالمسألة اليهودية في أوربا، ولزرع كيان غريب في المنطقة العربية، يكون حامياً للمصالح الامبريالية، ورأس جسر للحضارة الغربية.

ومما يلفت النظر أن إعادة إنتاج الفكر الصهيوني هذه المرة لم تكن من قبل البورجوازية اليهودية فقط، لأن هذه البورجوازية كانت قد تلاءمت مع النظام الرأسمالي المتنامي، واندمجت في محيطها البورجوازي الأوربي العام، إلى حد جعلها تنأى بنفسها، في حالات كثيرة، عن أبناء دينها من فقراء اليهود... ولكنها شاركت مع الاستعماريين في إنتاج مشاريع صهيونية لحاجات استعمارية رأسمالية بالدرجة الأولى... وهذا ما لا يتم التركيز عليه كثيراً... فالمنابع الأولى

للصهيونية، باعتبارها مشروعاً استعمارياً حديثاً، يدعو اليهود، خصوصاً يهود أوربا إلى (استعادة فلسطين؟!!!!!!!... عن طريق استعمارها والاستيطان فيها..... لم تكن يهودية خالصة، بل جاءت من أطراف غير يهودية، لخدمة المصالح التي كانت تشهد صراعاً محتدماً وعنيفاً في أثناء التسابق لاقتسام تركة (الرجل المريض)، ولإعادة تشكيل العالم بما يخدم الرأسمالية الناشئة، في هذا البلد الأوربي أو ذاك. فقد كانت هذه الأطراف غير اليهودية هي المؤهلة أكثر من غيرها لإفراز مثل هذه المشاريع التي تكفل لها التوسع التجاري والعسكري المستمر خارج القارة الأوربية(1).

ولما كان الشرق هو المجال لصراع المصالح.... والإرادات... والنفوذ، فلا غرو إن طرح كل طرف مشروعه (الصهيوني) الخاص، أو بالأحرى، إن حاول أن يقدم رؤيته للمشروع الصهيوني، وأن يوظفه في خدمته، وأن يسبق إلى استعمار فلسطين بواسطة اليهود، مستفيداً من بعض الأساطير الواردة في العهد القديم، التي يؤمن بها، إلى جانب اليهود، بعض الطوائف المسيحية. ومن هنا ظهر مصطلح الصهيونية الأممية، أو صهيونية الأغيار، أو الصهيونية غير اليهودية، ليصف اهتمام فئات معينة من المسيحيين في أوربا، خصوصاً في إنكلترا، بعودة اليهود إلى فلسطين..... أما اختيار اليهود بالذات للقيام بهذه المهمة الاستعمارية فهو الدليل على أهمية هذه الترهات والأساطير، التي وظفها الرأسماليون في حشد اليهود وتجييشهم لأداء هذه المهمة: "فهذه الظاهرة هي ظاهرة تاريخية ودينية تصدر عن بواعث سياسية وإمبريالية، إلى جانب الباعث الديني الموروث، والمستمد من نظرة خاصة إلى الكتاب المقدس...".(2)، وهي ظاهرة عجيبة جمعت في تكوينها خليطاً من العوامل الدينية والاجتماعية والاقتصادية.... (ولست هنا بوارد المضاهاة بين هذه العوامل لتحديد الأهم فيها....). وإذا كان (نابليون بونابرت) قد طرح مشروعه الصهيوني لخدمة المصالح الفرنسية، ولنشر الحضارة الغربية (؟!!!)، في وقت مبكر.... فإن (البوريتانيين) الإنكليز كانوا من أكثر المتحمسين للمشروع الصهيوني "وقد انطلق الاهتمام البريطاني بفلسطين من زاوية المصلحة المادية المتنوعة، ومن البواعث الدينية المتوارثة....".(3). فالصهاينة من غير اليهود، إلى جانب استفادتهم الاقتصادية والمادية والسياسية من طرح المشروع الصهيوني، فإنهم قد انطلقوا من جذور لاهوتية تهب الرداء المناسب لتمويه تلك الجوانب الامبريالية. وإذا تأفف بعض (الماركسويين) من هذا الطرح، وأصروا على إرجاع نشأة الصهيونية إلى أسباب تتعلق باحتياجات البورجوازية الأوربية، التي كانت قد بدأت الدخول في أفق الامبريالية، كما ذهب إلى ذلك (د.صادق جلال العظم)، في كتابه (الصهيونية والصراع الطبقي).... وتأفف آخرون من الذين يعدون الحركة الصهيونية إفرازاً دينياً محضاً... فإن الحقيقة التي تؤيدها الوقائع والأحداث لا تتسق مع أي من النزعتين السابقتين. فالصهيونية، وكما يقول د.صادق جلال العظم، نفسه لم تكن حليفاً مستقلاً للقوى الامبريالية، بل كانت جزءاً عضوياً في هذه الامبريالية، وأداة فعالة من أدواتها... ولكن هذه الصهيونية استطاعت أن تحدث اندغاماً عضوياً بين الجذور الدينية واللاهوتية وبين الحاجات الامبريالية. جاء في عريضة رفعها بعض (البوريتانيين) الإنكليز المقيمين في هولندة إلى حكومتهم: "ستكون هذه الأمة الإنكليزية، أول الناس وأكثرهم استعداداً لنقل أبناء إسرائيل وبناتها(.؟!!!!)، في سفنها إلى الأرض التي وُعد بها أجدادهم، إبراهيم، وإسحق، ويعقوب كإرث باقٍ أبداً(؟!!!!).....".(4).

ونابليون بونابرت يخاطب اليهود ويوصفهم الورثة الشرعيين لفلسطين و(اللورد شافتسبري)، يدعو إلى التحالف مع شعب الله القديم وحمايته من أجل تحقيق غاية الله القصوى على الأرض (؟!!!!!)، و(جورج جاولر) يقول إنه قد آن الأوان لأن تقوم إنكلترا بإحياء سوريا (؟!!!!). بواسطة الشعب الوحيد الذي ستنصرف طاقاته بشكل واسع ودائم لهذا العمل، أعني أبناء الأرض الحقيقيين... أبناء إسرائيل (؟!!!).(5). و(آرنست لاهاران)، السكرتير الخاص لنابليون الثالث يقول هو الآخر: "لقد آن الأوان الذي يفرض إحياء الأمم القديمة لشق طرق رئيسية وفرعية أمام الحضارة الغربية (الأوربية). ستكونون (مخاطباً اليهود) حملة الحضارة إلى شعوب ما زالت من الأغرار، وستكونون معلميها في العلوم الأوروبية (؟!!!!)... ستكونون الوسطاء بين أوربا وآسيا البعيدة... سيروا إلى الأمام يا أيها اليهود، إن وطنكم القديم (؟!!!)، يناديكم، وسيكون من دواعي افتخارنا أن نفتح لكم أبوابه....".(6).

وهكذا نشط الربط بين ماهو توراتي وأسطوري وأيديولوجي ديني وبين ماهو استعماري إمبريالي... ساهم فيه بصورة لافتة (الإنجيليون) لاسيما (البوريتانيين). كما ساهم فيه بعض حاخامات اليهود أمثال (يهودا القالي)، الذي فسر التوراة تفسيراً استعمارياً، ووضع الخطط لاستيطان فلسطين وقال: إن العودة الفردية بقصد الحج، أو الإقامة في آخر العمر بانتظار الموت في الأراضي المقدسة، لن تفيد شيئاً، ولا بد من العودة الجماعية المنظمة.... وكان يعتقد أن عدداً يقارب (23000)، مهاجر يكفي لاستعادة فلسطين "والعودة للأرض التي هي إرث آبائنا....". علماً بأن (القالي) صربي ولد في البلقان وتنقل بعد ذلك في العواصم الأوربية، يضع اطلاعه على أساطير التوراة في خدمة المشاريع الإمبريالية... ومثله الحاخام (زيفي هيرت كاليشر).... والحاخام (أخادهعام)... وسواهم، وهرتزل يقول: "فلسطين هي وطننا التاريخي(؟!)... الذي نذكره أبداً، إن اسم فلسطين بحد ذاته، سيجذب شعبنا (؟!)... بقوة رائعة من حيث فاعليتها.... وقولنا المأثور: (العام القادم في القدس) علينا أن نبيّن أنه بالإمكان تحويل هذا الحلم إلى واقع حي....".(7).

وهكذا، فالفكرة الصهيونية المتجددة، وما نجم عنها من إقامة إسرائيل... هي إنجاز أوربي، واليهود الأوربيون يعتقدون بأنهم أصحاب الفضل الأكبر في إقامة هذا الكيان.... واليهود الشرقيون، من ثم، عالة عليهم...

- 2 -

أعود إلى المحور الأساسي في بحثي المتعلق بالأساطير والترهات الواردة في (العهد القديم) وفي (التلمود)، وفي (بروتوكولات حكماء صهيون).... وسواها من الكتب المعتمدة لدى اليهود.... عندها سنكتشف الدور الخطير الذي لعبته في تشكيل الفكر الصهيوني، وفي تبرير الممارسات الصهيونية مهما بدت متوحشة وغير إنسانية.... ولنكتشف، من ثم، الجذور العميقة والمتأصلة في الوجدان اليهودي لكل هذا العنف والإرهاب الذي ليس مسوّغاً فحسب، بل ومطلوباً كذلك. ولنكتشف أن ما يجري أمامنا من ممارسات همجية فظة ليس إلا صفحة من كتاب الحقد والكراهية المعتّقة في اليهودية، أقول: اليهودية ولا أخشى الاتهام بالمبالغة أو بعدم الموضوعية. وأول محرك لهذا الحق العنصري هو إيمان اليهود بتفوقهم وتميزهم... يقول (أخادهعام)، في استلهام واضح لأفكار (نيتشه)، وفي مواءمة بينها وبين ما جاء في العهد القديم، أو بالأحرى، إرجاعها إلى أصلها التوراتي: "إذا ما اتفقنا على أن الإنسان الأسمى هو هدف جميع الأشياء، فعلينا أن نتفق أيضاً على أن (الأمة الأسمى) هي المقدمة الضرورية لتحقيق ذلك الهدف. أي يجب أن تكون هناك أمة أفضل من الأمم الأخرى، متكيفة بفضل خصائصها الداخلية للتطور الأخلاقي، وتؤقلم كل حياتها وفق القوانين الأخلاقية التي تقف فوق أخلاقيات الإنسان العادي.....".(8).

ويكرر (بن غوريون)، أول رئيس لوزراء إسرائيل بعد اغتصاب جزء من فلسطين المعنى نفسه حين يقول: "إنني مؤمن بتفوقنا الأخلاقي والذهني، وبقدرتنا على أن نكون نموذجاً لإنعاش العنصر البشري...".(9).

وشعور اليهود بهذا التفوق دفعهم إلى العنصرية بكل معانيها، وإلى التعالي على الأمم والشعوب، وإلى العزلة والانكفاء على الذات المتفوقة(؟!!!).... بل إن العزلة مطلب من مطالب قادتهم وحاخاماتهم للحفاظ على نوع من الهوية المزعومة... يقول (سلامون شختر) في خطاب له بمدرسة اللاهوت اليهودية العليا: "إن معنى الاندماج في الأمم هو فقدان الذاتية، وهذا النوع من الاندماج، مع ما يترتب عليه من النتائج، هو ما أخشاه أكثر مما أخشى المذابح والاضطهادات...".(10).

فاليهودية ديانة عنصرية مغلقة، ذات ارتباط بشعب معين (انقرض وجوده كشعب بالمعنى المتداول للكلمة منذ قرون عديدة)، وهي ديانة مقفلة، أي إنها ليست من ديانات الدعوة والتبشير، وهي تعبير طبيعي عن جماعة معينة، وجزء من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء، والأسفار كلها تدل على أن موسى وبني إسرائيل لم يكونوا مأمورين بدعوة غيرهم إلى ديانتهم، بل كل مافي الأسفار يدل على كون اليهودية ديناً خاصاً لشعب مختار(؟!!!!)، وكون (يهوه) رباً خاصاً

بهم..."(11). والصهيونية هي التعبير السياسي والاجتماعي عن هذه الديانة..... فاليهودية والصهيونية وجهان لعملة واحدة، وكل محاولة للتفريق بينهما لا تلبث أن تصطدم بالوقائع والممارسات التي تكذب ذلك..

يقول المؤرخ الإنكليزي المشهور (توينبي): "إن أشهر الذين يزعمون أنهم شعب مختار هم اليهود، فالحركات الصهيونية والنازية سواء في ادعاء هذه الصفة العنصرية، وإن الحركة الصهيونية قد جمعت بين جنبيها أسوأ مافي الحضارة الغربية من استعمار وقومية عمياء..."(13).

أما كيف يبرر اليهود للعالم، ولأنفسهم، بأنهم شعب الله المختار (إضافة إلى ما ورد في العهد القديم)، فإلى القارئ أنموذج من ذلك، حيث ينقل الكاتب اليهودي (آرثر هيرتزبرغ) في كتابه (الفكرة الصهيونية) ص110 مايلي: "في سيناء، عندما تجلّى الله لموسى ولبني إسرائيل، تم زواج بين الله وبين إسرائيل، وسُجّل عقد الزواج بينهما، وكانت السموات والأرض شهوداً لهذا العقد..."(13).

ويزعم التلمود أن اليهودي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وهو جزء من الله، فإذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية، والفرق بين اليهودي وغير اليهودي كالفرق بين درجة الإنسان والحيوان.... ولليهودي، في الأعياد، أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم غير اليهودي. ويعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم، ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم.... ويلزم بني إسرائيل أن يغشوا سواهم، وقد جاء في التلمود: "يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين ودنساً مع الدنسين... ويمنع التلمود اليهود أن يُحيّوا غير اليهود مالم يخشوا ضررهم.... كما يجيز النفاق مع غير اليهود...."(14).

وبما أن اليهود جزء من الله حسب زعمهم، فإنهم يعدون أنفسهم المالكين لكل مافي الأرض من ثروات بالنيابة عن الله. وإذا كانت وصايا موسى تقول: لا تسرق مال القريب، فقد فسر علماء التلمود (الحاخامات) هذه الوصية بجواز سرقة غير اليهودي. بل إن سرقة غير اليهودي تعد استرداداً لأموال اليهود من سالبيها. وأجاز الحاخامات لليهودي أن يبيع ماليس له من أملاك لغير اليهودي، وعلى المشتري أن يحصّل حقوقه، وقد يساعده اليهود في ذلك... وجاء في التلمود: إن مثل بني إسرائيل كمثل سيدة في منزلها، يحضر لها زوجها النقود فتأخذها وتنفقها دون أن تشترك معه في الشغل والتعب، فعلى الأمميين أن يعملوا ولليهود أن يأخذوا إنتاج هذا العمل... ويسمح التلمود لليهود أن يغشّوا غيرهم... قال الحاخام (رشي): مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي، وأن يحلف له أيْماناً كاذبة... وجاء في التلمود كذلك: إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأممي ماله المفقود. وجاء فيه: غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا..."(15).

وليس لأرواح غير اليهود حرمة لدى اليهود، فقد جاء في التلمود: محرم على اليهودي أن ينجّي أحداً من الأمميين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل إذا رأى أحد الأمميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر. وقال الحاخام (ميمانود): الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودي، فإذا رأيته واقعاً في نهر، أو مهدداً بخطر، فيحرم عليك أيها اليهودي أن تنقذه، لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان، وقضت التوراة بقتلهم جميعاً، لم يقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض، ولذلك يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين. وينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودي كل أممي، لأنه بذلك يقرب قرباناً إلى الله.

"وللعلم فإن الحاخام و(ميمانود) هو نفسه (موسى بن ميمون)، الطبيب والفيلسوف الذي عاش في كنف الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ومصر"...

ويجوز لليهودي أن يعتدي على أعراض الآخرين، من غير اليهود، يقول الحاخام (رشي) في استنتاج له: إن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبي، لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، لأن المرأة التي لم تكن من بني

إسرائيل هي كبهيمة ، والعقد لا يوجد مع البهائم أو ماشاكلها. وقد أجمع على هذا الرأي كثير من الحاخامات.... وقال (ميمانود): إن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات، أي غير اليهوديات؟!!!(16).

والتلمود يبيح شهادة الزور، واليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب لا تعد يميناً، إذ كأنه أقسم لحيوان، والقسم لحيوان لا يعد يميناً(؟!!!).

ويعيّن التلمود يوماً كل سنة يسمى يوم الغفران العام، تمحى فيه الذنوب التي يرتكبها اليهود في سنة ماضية ولسنة قادمة، ومن بينها اليمين الزور.

وعلاقة اليهود مع المسيحيين، كما جاء في التلمود، تقوم على العداء المطلق، فالمسيح في لجات الجحيم، بين النار والقار، وهو ابن الخطيئة بين أمه مريم والعسكري (باندارا) ـ يوسف النجار ـ والكنائس النصرانية بمثابة القاذورات، وقتل المسيحي من الأمور المأمور بها.

بل إن التلمود يحدد أنواعاً من التوبة لا تتحقق إلا باستعمال الذبائح البشرية من المسيحيين... وقد وقعت أحداث كثيرة تؤكد أن أيدي اليهود ملطخة بدماء المسيحيين لمجرد أنهم مسيحيون : (حادثة البدري في دمشق، في القرن التاسع عشر، التي وردت تفاصيلها في كتاب حملة إبراهيم باشا على سورية لمؤلف مجهول، والأرجح أنه ميخائيل مشاقة، والتي أعيد نشرها في كتاب فطير صهيون...).

وهناك أحداث أخرى وقعت في عدد من الدول الأوروبية تؤكد ذلك(17)، وقارئ العهد القديم، الذي كتبه اليهود صدىً لانفعالاتهم وأحاسيسهم ورغباتهم، يكتشف بسهولة أنهم إنما أرادوا منه أن يبرئهم من العيوب وأن يلوث سواهم: فأحد ابني آدم كان ضالاً والآخر مهتدياً، ومن المهتدي انحدر اليهود... والسخط واللعنة تنصبّ على حام بن نوح، لا لشيء إلا لأنه أبو المصريين.... وسفر التكوين لا يفتأ يصب اللعنات على كنعان، لأن الكنعانيين حاربوا العبرانيين.... والعهد القديم يرضى عمن يرضى عنه اليهود... ويسخط... ويصب اللعنات على من يبغضه اليهود...

هذا، وإن جماعة تقدم نفسها سيدة للبشر، وأنها من عنصر أرقى من الآخرين، وتقدم حاخاماتها، بل ترتقي بهم إلى مرتبة الأنداد لله، حيث يقول التلمود: إن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء....(18)، بل إن الذي يخالف أقوال الحاخامات من اليهود يعاقب

أشد العقاب، لأن الذي يخالف شريعة موسى خطيئته قد تغفر، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل.....(19).

أقول: إن جماعة تقدم نفسها بتلك الصورة المتعالية لابد أن تتصف بالفظاظة والحقد... وكل ما يسبب لها الكره والرفض...

واليهود، حين كتبوا العهد القديم.... والتلمود.... بما يتناسب مع مصالحهم ورؤاهم، إنما وضعوا المهاد للأخلاق والقيم اليهودية التي ما زالت مفاعيلها سارية إلى يوم الناس هذا. فاليهودية كنظام عقيدي وقيمي تشكل نوعاً من الرباط يجمع المؤمنين بها بغض النظر عن جنسهم وعن العرق الذي ينتمون إليه. فنحن، وإن كنا نسخر من دعواهم بأنهم أبناء إسرائيل (الذين عاشوا في برهة من الزمن على هامش تاريخ فلسطين غاصبين ومحتلين....)، كما نسخر من هشاشة فكرة الدم اليهودي النقي الذي يسري في عروق أبيضهم وأسودهم... إلا أننا لا يمكن أن نتجاهل هذا الرباط من القيم الشوفينية العنصرية التي توحدهم جميعاً، ومنظومة القيم التي عبرت عن نفسها من خلال كتبهم المعتمدة من خلال الممارسات التي نراها ونسمع بها، تشكل نوعا من (شبه الهوية)، لذلك لا أجد فرقاً كبيراً بين اليهودية، أعني منظومة القيم التي سبق ذكر بعضها، وبين الصهيونية.... وما الصهيونية، في جانبها الأيديولوجي والثقافي والسياسي... إلا الإفراز الطبيعي لمقولات العهد القديم... والتلمود... وسائر الكتب المعتمدة عندهم...

وإذا انتقلت إلى (يهوه) رب الجنود، رب بني إسرائيل، أجد لزاماً علي أن أؤكد منذ البداية بأن (يهوه) هذا ليس اسم الله جل جلاله باللغة العبرية كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، لأن الصفات التي ذكرها اليهود لـ (يهوه) تبعده كل البعد عما يتصف به الإله عند أية جماعة من المتدينين، وتجعله انعكاساً لصفاتهم هم، واتجاهاتهم هم، فـ(يهوه) ليس خالقاً، وإنما هو مخلوق لهم، وهو لا يأمرهم بل يأتمر بأمرهم ويسير على هواهم... وقد اختاره اليهود فيما يبدو من آلهة الكنعانيين "وصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها، وجعلوا منه إلهاً لهم... يؤيد ذلك أن من بين الآثار التي وجدت في كنعان (فلسطين) سنة (1913م)، قطعاً من الخزف، من بقايا عصر البرونز (3000ق.م)، عليها اسم إله كنعاني يسمى (ياه) أو (ياهو)...."(20).

ففي (يهوه) صفاتهم الحربية إن هم حاربوا، وصفات التدمير لأنهم مدمرون... وهو يأمرهم بالسرقة إن أرادوا أن يسرقوا: "وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعةَ فضةٍ وأمتعةَ ذهبٍ وثياباً، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين...".(21).

بل إن (يهوه) يتعلم منهم ما يريدون منه أن يتعلم... وهو يسير أمامهم في عمود سحاب نهاراً ليهديهم الطريق، وفي الليل في عمود نار ليضيء لهم..."(22).

وهم بتصورهم كأحد ملوك البداة، يجلس في خيمته وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة....(23).

وطلب منهم أن يصنعوا له مقدساً ليسكن وسطهم...(24).

و(يهوه)، كما يصوره العهد القديم لا يدّعي العلم، ويطلب من بني إسرائيل أن يرشدوه لئلا يقع في الخطأ: "فدعا موسى جميع شيوخ بني إسرائيل وقال لهم: وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح، وخذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم الذي في الطست ومسّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست، وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح، فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب....(25).

و(يهوه) إله غيور، يغار من الآلهة الأخرى، ويوصي موسى وبني إسرائيل بألاّ يعبدوا غيره.

وهو حقود: "لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ...."(26).

وكان (يهوه) يحضر إلى خيمة الاجتماع كلما دعت الحاجة، أو كلما شغب بنو إسرائيل على موسى وخلفائه من بعده... وظل الأمر كذلك حتى غار من (داود)، عندما بنى لنفسه بيتاً، فقال: تسكن أنت في بيت أما أنا فمنذ أن أصعدتكم من مصر أسكن في خيمة؟!!!... ولا أجد لي بيتاً أسكنه....؟!!!... ولكن الذي شفع لـ(داود) أنه فكر ببناء بيت لـ(يهوه)... قال (سليمان): "قال الرب لداود أبي من أجل أنه كان في قلبك أن تبني بيتاً لاسمي قد أحسنتَ يكون ذلك في قلبك...".(27).

و(يهوه) ليس معصوماً، وكثيراً ما وقع في الخطأ نتيجة طيشه، وكثيراً ما ندم على ما فعل: "فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه....".(28).

"وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: ندمت على أني قد جعلت شاول ملكاً، لأنه رجع ورائي ولم يقم كلامي....".(29).

ونغمة (الندم) هذه ما زالت تتردد على ألسنة حاخامات اليهود نيابة عن (يهوه)... وكلنا ما زال يذكر الكلمات العنصرية للحاخام (عوباديا يوسف)، حول ندم الرب لأنه خلق العرب، ومن يدري فقد يأتي يوم نجد فيه عبارات هذا الحاخام المأفون، وقد أخذت مكانها في كتب اليهود المقدسة عندهم.

ومن صفات (يهوه) عندهم أن موسى ذو سلطان عليه، ينصحه فينتصح، ويتخذ موسى وهو ينصحه موقف المرشد والمعلم: "وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم... فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال: لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة. لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض، ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك، اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم لنجوم السماء، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها، فيملكونها إلى الأبد، فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه...".(30).

و(يهوه) إله قاس، فظ، متعصب لشعبه، وهو أشبه برئيس عصابة من قطاع الطرق: "حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن إجابتك إلى الصلح، وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا (يعني المدن الفلسطينية). وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريماً....."(31).

ومن صور وحشية (يهوه) وقسوته ما قاله (صموئيل) على لسان (يهوه) (لشاول): "فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله، ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة وطفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً..."(32).

ولما استبقى (شاول) جيد الغنم والبقر والثنيان والخراف... وكل ماهو جيد زاعماً أنه سيقدمها ضحايا للرب... فإنّ (يهوه) قال (لصموئيل): "ندمت على أني جعلت شاول ملكاً...". عند ذلك عنّف (صموئيل) (شاول) قائلاً: "هل مسرّة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟ قال الرب: اذهب وحرّم الخطاة عماليق وحاربهم حتى يفنوا....".(33).

وقد كانت تصرفات (شاول)، وعدم التزامه الحرفي بأوامر (يهوه) الجهنمية سبباً في طرده من الملك وتولية (داود بن يسّي البتلحمي) بدلاً منه، لما عرف عنه من وحشية وقسوة... ويقول المؤرخ:

(Wells) في كتابه: (Theout line of History) معلقاً على ما ورد في الكتاب المقدس عن قسوة (داود) مايلي:

"وقصة (داود)، بما تحوي من قتل وسفك دماء واغتيالات متلاحقة، يأخذ بعضها برقاب بعض، أشبه بتاريخ أحد الرؤساء المتوحشين منها بتاريخ ملك ممدن...".(34).

و(يهوه)، مع أنه صنيعة بني إسرائيل، فقد يراد منه أحياناً أن يظهر بعض القسوة تجاه شعبه، لأسباب تخدم بعض الحاخامات والكهنة، من أسرة (لاوي)، خصوصاً، فقد يحمى غضبه (؟!!!!): فقد مدَّ يده على شعبه وضربه حتى ارتعدت الجبال، وصارت جثثهم كالزبل في الأزقة...".(35).

وقد عد المعلم الفارسي (ماني) (يهوه) شيطاناً، وعد تعاليمه من وساوسه الشيطانية. ويقول (ول ديورانت): "كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لانقضاض جموع جياع على جماعة مستقرين آمنين... ولسنا نعرف في تاريخ الحروب

مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به... وقد أقام (يوشع بن نون) حكمه على قانون: إن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً"(36).

وقد انعكست وحشية (يهوه) في مجمل القيم اليهودية التي تتسم بالفظاظة والعنف المدمر للأغيار: "فخير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالحكم والإرهاب لا بالمناقشات الأكاديمية... والسياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع... والغاية تبرر الوسيلة، وعلينا، ونحن نضع خططنا، ألاَّ نلتفت إلى ماهو أخلاقي وماهو خير بقدر ما نلتفت إلى ماهو ضروري ومفيد... والعنف وحده هو العامل الرئيسي في قوة الدولة....".(37).

"وإن أية ثورة ضدنا ينبغي أن تصير كنباح كلب على فيل، فليس على الفيل إلا أن يظهر قدرته بمثل واحد متقن من التدمير، حتى تكف الكلاب عن النباح، وتشرع في البصبصة بأذنابها عندما ترى الفيل... ولكي ننزع عن المجرم السياسي تاج شجاعته سنضعه في مراتب المجرمين الآخرين بحيث يستوي مع اللصوص والقتلة والأنواع الأخرى من الناس المنبوذين والمكروهين....".(38).

يقول (شاؤول إسرائيلي) عضو مجلس الحاخامية الأعلى لحزب المتدينين الوطني: "يجب أن نقوم بأعمال انتقامية(؟!!!!)، ضد أعدائنا، وأن لا نبالي بما قد نسببه لهم ولنسائهم وأطفالهم من دمار وأذى... وليس من واجبنا، ولا حرج علينا، إذا نحن أخذنا البريء بجريرة المذنب، والصالح بذمة الطالح...".(39).

والعنف والإرهاب جزء عضوي من مناهج الدراسة في المدارس الصهيونية. جاء في كتاب النصوص الأدبية للصف السابع القطعة التالية للشاعر (ش.شالوم)، مخاطباً (يهوه):

"حوّل قلوبنا إلى حجارة

لكيلا تلين أو ترتعش

عندما ترتفع راياتنا فوق دمائهم

التي أرقناها.....".(40).

ويقول بطل إحدى الروايات الصهيونية:

"لقد ربوني على الاستهتار بالعرب، ولم يقولوا لي بشكل مفصّل أنهم حثالة...".(41).

وخير النتائج وحسب الفكر اليهودي عموماً والصهيوني خصوصاً) ما ينتزع بالعنف... ويجب أن يكون شعارنا: كل وسائل العنف والخديعة... والقوة المحضة هي المنتصرة في السياسة، وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة... يجب أن يكون العنف هو الأساس... وإن الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير... لذلك يجب ألاَّ نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة... إذا كانت تخدمنا في تحقيق غاياتنا... وفي السياسة يجب أن نتعلم كيف نصادر الأملاك بلا أدنى تردد، إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة... ويجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة لا من أجل المصلحة فحسب، بل من أجل الواجب والنصر أيضاً....".(42)......

وإننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل.....(43)، ومن أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات

الأممية في أوربا سوف نبيّن قوتنا لواحدة منها، متوسلين بجرائم العنف وذلك ما يقال له حكم الإرهاب....(44).

ونحن نحكم بالقوة القاهرة....(45)، سوف نملأ قلوب أشجع الرجال هولاً ورعباً، وعندئذٍ ستقام في كل المدن الخطوط الحديدية المختصة بالعواصم، والطرقات الممتدة تحت الأرض، ومن هذه الأنفاق الخفية سنفجر وننسف كل مدن العالم، ومعها أنظمتها وسجلاتها.....(46).

وعموماً، فإن شرائع اليهود لا تكتفي بتسويغ جرائمهم، وإنما تشجعهم على التفنن والإفراط فيها، ثم تكفل لهم التوبة من (يهوه)... ووفق هذه المعاهدة الشيطانية بينهم وبين (يهوه) يتسلطون على الشعوب...(47). وتعاليم (يهوه)... وقانون (يوشع بن نون) أملت على اليهود جرائمهم النكراء، التي ما زالت متصلة عبر الزمان، في كل مكان وجد فيه من يتبع هذه التعاليم... فالسيناريو الذي وضعه (رب الجنود) لشعبه المختار للتدمير والتنكيل والقتل... ما زال يتكرر، بعد أن سلح (رب الجنود هذا) شعبه بآلات أكثر فتكاً وتدميراً، وبعد أن ابتدع أنبياء بني إسرائيل الجدد أساليب غاية في الفظاظة والعنف، عساهم يرضون شهوة (يهوه) للولوغ بدم الضحايا. وقد كتب (مناحيم بيغن)، في مذكراته، بشكل مستهتر ووقح، عن الفائدة التي حققتها مذبحة دير ياسين للصهاينة: "لقد عاد الشر بالخير، فالدعاية العربية التي كانت قد عممت أسطورة عن الإرهاب الذي يتعرض له العرب وقوامهم جعلت الذعر يتسرب من مجرد ذكر أي شيء عن جنود الأرغون....".(48).

وقد وصف الفرنسي (جاك دي ريني)، الموظف في الصليب الأحمر، وكان أول شاهد وصل إلى مكان المذبحة الدموية في دير ياسين كما يلي: "كان الأشقياء يرتدون بدلات ميدان، ويغطون رؤوسهم بخوذ حديدية، كانوا جميعهم شباباً، حتى أن بعضاً منهم كان من الأشبال. نساء ورجال، مسلحون حتى أسنانهم بمختلف أنواع الأسلحة: مسدسات... رشاشات... قنابل يدوية. كانت في أيديهم حراب ملطخة بالدماء... تقدمت نحوي فتاة شابة جميلة، ذات وجه طغت علائم الجريمة على تعابيره، وأرتني حربتها التي كان الدم ما يزال يقطر منها. كانت قد صدرت لهم الأوامر بتطهير القرية، وكانت تلك العصابة تعرف حق المعرفة، وتعني ما تقوم به.

حاولتُ ولوج أحد البيوت... كانت الغرفة الأولى فيه مظلمة، كل شيء فيها محطم.... وفي الغرفة الثانية، ووسط الأثاث المهشم... والسجاد الممزق... والقمامة... كانت جثث قد برد دمها. فقد جرى هنا (التطهير) بادئ الأمر بالرشاشات الأوتوماتيكية، ومن ثم بالقنابل اليدوية. من المشهد يتضح أنهم استعملوا السكاكين، العمل عن وعي، ذلك أني لاحظت أن السفاكين كانوا منظمين غاية التنظيم، ونفذوا عملهم ذاك وفق أوامر طبقوها بحذافيرها....".(49). ويتابع ذلك الموظف: "وعندما هممت بالخروج سمعت صوتاً يشبه الأنين، بدأت البحث عن مصدره، أخذت أقلّب الجثث، وإذا بيدي تقع على رجل صغير كانت ما تزال دافئة، رجل فتاة قارب سنها العاشرة، مزقها انفجار قنبلة يدوية، لكنها كانت ما تزال على قيد الحياة....".(50).

وللتذكير، فإن مذبحة دير ياسين قد جرت يوم (10/نيسان/1948)، وكان يقطن في القرية المذكورة (400) أربعمائة نسمة، استطاع (50) خمسون منهم النجاة بحياتهم هرباً، أما البقية فقد تم ذبحهم بكل استهتار.

"ومذبحة دير ياسين لم تكن حدثاً معزولاً، بل حلقة أخرى في سلسلة سياسية مدروسة بدقة، وموجهة للقضاء على الوجود العربي في فلسطين... لقد كان الإرهاب الوسيلة التي عزم الصهاينة بواسطتها إقامة حقائق جديدة على الأرض....".(51).

وقد مارست الإرهاب عصابات شكلت لهذه الغاية منها: الهاجانا.... وشتيرن... وأرغون تسفي ليومي.... وكان من أعضاء هذه العصابات رؤساء وزارات... ورؤساء دولة... ووزراء... وضباط... سيحكمون الكيان الصهيوني في المستقبل. وقد قامت هذه العصابات بعمليات إرهابية عديدة منها:

- في يوم 1947/12/7 تم إلقاء قنابل على السوق العربية في حيفا.

- في يوم 1947/12/11 تم تفجير سيارات الباص العربية في حيفا والقدس، مما أدى إلى قتل، وجرح، كثيرين...

- وفي اليوم ذاته (1947/12/11). قامت هذه العصابات بإطلاق النار وقتل عربيين في القدس.

- في يوم 1947/12/12 قام إرهابيون من عصابة آراغون بإلقاء قنابل على سيارات باص عربية، مما أدى إلى قتل (16) ستة عشر وجرح (67) سبعة وستين مواطناً فلسطينياً.

- في يوم 1947/12/15 تم تنفيذ عدد آخر من الهجمات على سيارات الباص العربية وعلى المارة في شوارع المدن العربية.....(52).

ويقول المؤرخ (كريستوفر سايكس)، وهو إنكليزي موال للصهيونية:

"حوّل تأثير الإرهاب، الذي كان يجري في ظل النجاحات العسكرية المتنامية لليهود في كل أنحاء فلسطين، النزوح الواسع للعرب إلى هجرة جماعية...".(53).

وكمن يمتثل لأوامر (يهوه)، وفي صورة مطورة لما قام به (يوشع بن نون)، و(داود) وسواهما... يذكر المؤرخ البريطاني (ايرسكين تشايلدرز): "في صبيحة (1948/6/11)، ترأس (موشي دايان) فريقاً من الكوماندوز محمولاً بسيارات الجيب، واقتحموا اللد شاهرين بنادقهم ورشاشاتهم من نوع (ستين) ومدافعهم الرشاشة. ومر هذا الفريق بشوارع المدينة الرئيسية فاتحاً النار على كل هدف متحرك... كانت أشلاء الرجال العرب، وحتى الأطفال، مبعثرة هنا وهناك على امتداد الشوارع بعد هذا الهجوم، الذي تقطّع مشاهده نياط القلب...(54).

وقد قال (موشي دايان): الذي أصبح وزيراً للدفاع، في حديث له أمام طلاب المعهد التكنولوجي في إسرائيل: "ليس هناك قرية يهودية في هذه البلاد لم تقم على مكان قرية عربية....".(55).

وتشهد مجزرة (صبرا وشاتيلا)، التي حضَّ عليها، وساعد في تنفيذها، الصهاينة في أيلول عام 1982... على أن الصهاينة يرتكبون الأعمال الإرهابية لتحقيق الحل النهائي، الذي يلائم رؤيتهم ومصالحهم وأوهامهم....، للقضية الفلسطينية. وقد كتب (موشي شاريت) بلهجة عنصرية في مذكراته: "على دولتنا أن تعد خطواتها بضيق أفق وتعيش بحكم السيف. وعليها أن ترى في السيف الآلة الرئيسية والوحيدة للحفاظ على مستوى أخلاقي غاية في السمو. وتحقيقاً لهذا الهدف عليها اختلاق أخطار لا وجود لها، ولأجل ذلك عليها استخدام أسلوب الاستفزاز والتنكيل، وقبل كل ذلك علينا الاعتماد على حرب جديدة مع البلدان العربية، كي نستطيع في نهاية المطاف الحصول على الأراضي الضرورية لنا....".(56).

وخطط الإرهاب الصهيونية بحاجة إلى منفذين مطيعين على العمياء لخططها الإجرامية، وهي لن تعدم وجود مثل هؤلاء في صفوف المؤمنين بالقيم اليهودية. ويسعى القادة الصهاينة إلى إعداد مثل هؤلاء العنصريين ليكونوا مجرمين غلاظ القلوب... ومن هؤلاء، على سبيل المثال لا الحصر، لأنهم أكثر من أن يحصوا، (يوسف ترومبيلدور... وميير هارتسيون). كتب الأول، وكان في الأساس ضابط صف في الجيش الروسي القيصري، ثم هاجر إلى فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى: "نحن بحاجة إلى أناس مستعدين لكل شيء، علينا أن نربي شباباً ليس لهم اهتمامات ولا عادات... ضفائر لدنة لكنها من فولاذ..."(57)، أما الثاني فقد خدم في بداية الخمسينات في السرية (101) التي كان يقودها (شارون)، الضابط الشاب آنذاك في قوات المظليين، حيث أهلته نظرته الإجرامية لتبوّؤ قيادة هذه السرية التي كانت مهمتها ترويع السكان العرب المسالمين في القرى الحدودية. وقد أخلص أفراد هذه السرية في عملهم، وارتكبوا جرائم يندى لها الجبين. أما (هارتسيون) عديم الضمير فقد استمرأ مهمة القتل وأدمنها لدرجة أنه لم يعد

يرتوي بالقتل الذي يمارسه ضمن مهمات (السرية 101) بل راح، حتى بعد أن تم تسريحه من الجيش، يخرج ليلاً مع من هم على شاكلته ليمارس شهوة القتل لحسابه الخاص، أو بالأحرى، قرباناً (لرب الجنود يهوه)....

وكانت أعمال هؤلاء القتلة معروفة من قبل السلطات الصهيونية، ولكنها لم تمنعها، بل قدمت الغطاء لها في كثير من الحالات... بل إن (شارون) كان يأمر بها ويخطط لها. وتحول (هارتسيون) بسبب أعماله الإجرامية، خاصة ما يتعلق بتصيد الأبرياء من الشباب العرب، إلى بطل قومي عند الصهاينة وهكذا وبكل بساطة. وقد كتب (موسى شاريت) معلقاً على إحدى عمليات القتل التي مارسها هذا المجرم (قتل أربعة من الرعاة البدو والتمثيل بجثثهم بعد العبث بهم والتسلّي بتعذيبهم....): "لقد

رُفع بعد تنفيذ ذلك العمل على مستوى مبدأ مقدس في كتيبة شارون، التي تعتبر آلة الانتقام بالنسبة للدولة".(58).

لقد كانت كتيبة إرهاب وتنكيل ووحشية، لأن الضحايا لم يرتكبوا إثماً لينتقم منهم، وإنما يراد طردهم من بلادهم وأوطانهم في سياق ما أسماه الغزاة الصهاينة (بالوضع التاريخي العادل؟!!!)، الذي ترعاه العناية الإلهية (عناية يهوه بطبيعة الحال).

وما يزال الصهاينة يبررون جرائمهم بما كان اليهود قد تعرضوا له على يد النازية والفاشية في أوربا، وكأن العرب عموماً، والفلسطينيين خصوصاً مسؤولون عن ذلك، بغض النظر عن مبالغات (الهولوكوست) وعن دور اليهود أنفسهم في كثير مما تعرضوا له، حين تعاونوا مع (هتلر) وضباطه. ومنهم (ايخمن) الذي حاكمه الصهاينة بعد اختطافه من الأرجنتين وحكموا عليه بالإعدام... فقد بينت الوثائق والوقائع، ومنها محاكمة (ايخمن) أن الصهاينة شاركوا في ارتكاب بعض المجازر بحق اليهود لإرهابهم، ودفعهم إلى الهجرة إلى فلسطين... وهذه الجرائم ارتكبت في أكثر من مكان، ومن ذلك ما سمي بعملية (علي بابا) لإرهاب اليهود العراقيين....

هذا، وحتى في حال صحت المزاعم الصهيونية عن (الهولوكوست)، وهي غير صحيحة يقيناً، فإننا نجد فيلسوفاً من وزن (برتراندراسل) يصرح في آخر أيامه: "عادة ما يطلبون منا التعاطف مع إسرائيل، بسبب معاناة اليهود في أوربا على أيدي النازيين..... التذكير بويلات الماضي من أجل ارتكاب ويلات اليوم وهو من أبشع أنواع النفاق..."(59).

- 4 -

وبعد: فإن جماعة تربت على تعاليم رب اليهود (يهوه) وتعاليم تلاميذه من أنبياء اليهود وحاخاماتهم، كان من الطبيعي أن تدفع (بشارون) أحد أشرس هؤلاء الأنبياء (بالمفهوم اليهودي للنبوة طبعاً) بهذه الأغلبية الكبيرة، ليقودها في المواجهة المصيرية الحاسمة، بعد أن بلغ المشروع الصهيوني مرحلة انسداد الآفاق، وبعد أن بدأ يترنح تحت ضربات المقاومة وفعاليات الانتفاضة المباركة... وبعد أن وجد الصهاينة أنفسهم في المربع الأول من جديد، رغم ما بدا، في وقت من الأوقات، وكأنهم قد حققوا انتصاراً حاسماً وكاسحاً ونهائياً.. ولكن أنى لهم هذا ومشروعهم الصهيوني العنصري يقوم على أسس غير واقعية... وغير إنسانية... وعلى ترهات.. وأوهام.. وأساطير... وهلوسات... بدأت تصطدم بالحقائق والوقائع التاريخية والجغرافية والأركيولوجية، التي تكذب ما يدعون، رغم الأيمان التي قطعها (يهوه) لإبراهيم وإسحاق ويعقوب... بأنه قد منحهم فلسطين، بل وما حولها، ملكاً أبدياً لهم ولأبنائهم من بعدهم... هذا الوعد، الذي ما فتئ العهد القديم يردده، لم يتحقق في يوم من الأيام، كما تؤكد الوقائع التاريخية والقرائن الآثارية.....

لأن (يهوه) أعجز من أن ينتزع أرضاً من أصحابها الحقيقيين ليهبها غنيمة باردة لقوم آخرين مهما بلغت جرائمهم من القسوة والوحشية... ولن يستطيع (شارون)، أن يفعل شيئاً، رغم تاريخه الحافل بالمجازر، ورغم ما قام به منذ نصف قرن أو يزيد من أجل إرضاء شبق (يهوه) وإسكات شهوته المحمومة والمتوحشة للولوغ في الدماء...

أقول: لن يستطيع (شارون) ولا الذين أوصلوه إلى حيث يجلس شيئاً أمام شعب قرر أن يتحرر، وأن يعيد (رب الجنود هذا) إلى كتب الحاخامات... ولن يفيد (شارون) كل هذا الحقد ضد البشر والشجر والحجر وباقي المخلوقات... التي لا ذنب لها إلا أنها تنتمي انتماءً حقيقياً لأرض فلسطين العربية، مهما تسلح (بالآباتشي... وبالـF16/ ومهما مارس من اغتيالات وجرائم وفظائع.. .هذا ما أوقعه في الحيرة والارتباك، بعد أن استنفذ كل مافي مخيلته ا لجهنمية من أساليب البطش و التنكيل و الحصار والتجويع... وأشد ما أثار ارتباكه هذا الالتحام العبقري بالأرض، وهذا الاندفاع للاستشهاد في سبيلها، وهؤلاء النسوة وهن يزغردن للشهداء وهم يزفون للغالية فلسطين.. لقد رمى (شارون) بكل ما في جعبته من أسلحة... ولم يبق أمامه إلا أن ينتظر مصيره المحتوم، وإلا أن يكون الشاهد على اندحار الحلم الصهيوني الفاشي والعنصري... ولن يكون ذلك بعيداً.

***

الهوامش:

(1) ـ انظر: د.صادق جلال العظم، الصهيونية والصراع الطبقي، (بيروت، دار العودة، 1975)، ط1.

(2) ـ رزوق، د.أسعد، الصهيونية وحقوق الإنسان، (بيروت، مركز الأبحاث، 1968)، ج1، ص 140.

(3) ـ باربرة توخمان. نقلاً عن المصدر السابق.

(4) ـ باربرة توخمان. نقلاً عن: د.صادق جلال العظم، مصدر سابق، ص 54.

(5) ـ نقلاً عن المصدر السابق، ص 67.

(6) ـ نقلاً عن المصدر السابق، ص 71.

(7) ـ آرثر هرتزبرغ، الفكرة الصهيونية. ترجمة مركز الأبحاث الفلسطينية، (بيروت، مركز الأبحاث، 1970)، ط1، ص 110.

(8) ـ سيلرز، م.، إعادة النظر بالصهيونية، الانحراف عن القوانين. (لندن، شركة مكميلان، 1970)، نقلاً عن: سرغي سيدروف: (الصهيونية ونهج الإرهاب: ترجمة عادل الجبوري)، (موسكو، دار نشر وكالة نوفوستي واللجنة السوفياتية لمكافحة الصهيونية، 1984)، ط1، ص5.

(9) ـ نقلاً عن المصدر السابق، ص22.

(10) ـ شلبي، د.أحمد. اليهودية. (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966)، ط1، ص33.

(11) ـ انظر المصدر السابق.

(12) ـ نقلاً عن المصدر السابق، ص164.

(13) ـ آرثر هرتزبرغ، مصدر سابق، ص 110، ود.أحمد شلبي، مصدر سابق، ص 87.

(14) .الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: د.يوسف نصر الله وهذا الكتاب ترجمة عن الفرنسية لكتابين هما:

1ـ اليهودي على حسب التلمود. لمؤلفه: د.روهلنج.

2ـ تاريخ سورية لسنة 1840م، لمؤلفه: د.شارل لوران. وقدم للطبعة العربية: د.مصطفى أحمد الزرقا، ود.حسن ظاظا. (بيروت ودمشق، دارة العلوم ودار القلم، 1999)، ط2.

(15) ـ المصدر السابق، ص56 ـ 65.

(16) ـ المصدر السابق، ص 66 ـ 67.

(17) ـ المصدر السابق، ص74 ـ 89.

(18) ـ المصدر السابق، ص 32 ـ 33.

(19) ـ المصدر السابق، ص 87. ود.أحمد شلبي، مصدر سابق، ص 245.

(20) ـ ديورانت، ول: قصة الحضارة، ج2، ص340.

(21) ـ الكتاب المقدس، أي كتب العهد القديم، والعهد الجديد، تصدرها دار الكتاب المقدس في العالم العربي، سفر الخروج، الإصحاح 12، ص 107.

(22) ـ المصدر السابق، سفر الخروج، الإصحاح 13، ص109.

(23) ـ المصدر السابق، سفر الخروج، الإصحاح24، ص125.

(24) ـ المصدر السابق، سفر الخروج، الإصحاح25، ص145 ـ 147.

(25) ـ المصدر السابق، سفر الخروج، الإصحاح 12، ص106.

(26) ـ المصدر السابق، سفر الخروج، الإصحاح20، ص116.

(27) ـ المصدر السابق، سفر الخروج، سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 6، ص687.

(28) ـ المصدر السابق، سفر الخروج، الإصحاح32، ص140.

(29) ـ المصدر السابق، سفر صموئيل الأول، الإصحاح15، ص450.

(30) ـ المصدر السابق، سفر الخروج، الإصحاح32، ص140.

(31) ـ المصدر السابق، سفر التثنية، الإصحاح20، ص211.

(32) ـ المصدر السابق، سفر صموئيل الأول، الإصحاح15، ص 450 ـ 451.

(33) ـ المصدر السابق، ص 451.

(34) ـ نقلاً عن د. أحمد شلبي، مصدر سابق، ص 57.

(35) ـ الكتاب المقدس، سفر اشعيا، الإصحاح 5، 998.

(36) ـ ديورانت، ول، قصة الحضارة، ج2، ص 326 ـ 327.

(37) ـ التونسي، محمد خليفة، الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، (القاهرة، مكتبة دار العروبة، د.ت)، ط3، البروتوكول رقم (1).

(38) ـ انظر: المصدر السابق، البروتوكول رقم (19).

(39) ـ انظر: الباش، حسن، الفكرة الصهيونية، والأدب العنصري.

(40) ـ انظر : المصدر السابق.

(41)ـ انظر : المصدر السابق.

(42)ـ التونسي، محمد خليفة، الخطر اليهودي....، البروتوكول رقم (1).

(43)ـ المصدر السابق، البروتوكول رقم (5).

(44)ـ المصدر السابق، البروتوكول رقم (7).

(45)ـ المصدر السابق، البروتوكول رقم (9).

(46)ـ المصدر السابق، البروتوكول رقم (9).

(47)ـ المصدر السابق، المقدمة، ص 24.

(48)ـ بيغن، مناحيم، الانتفاضة، (لوس أنجلوس، دار ناش، 1972)، ط1، ص 164. نقلاً عن سرغي سيدروف، مصدر سابق، ص 14.

(49)ـ نقلاً عن كتاب: انتصارنا تباركه السماء، دراسات في الصهيونية والمشكلة الفلسطينية حتى العام 1948، (بيروت، دار النشر غير مذكورة، 1971). ص 763 ـ 764.

(50)ـ المصدر السابق، 764، 765.

(51)ـ سيدروف، سرغي، الصهيونية ونهج الإرهاب، مصدر سابق، ص 15.

(52)ـ نقلاً عن المصدر السابق، ص 16.

(53)ـ المصدر السابق، ص17.

(54)ـ المصدر السابق، ص 18.

(55)ـ المصدر السابق، ص19

(56)ـ انظر: مجلة دراسات فلسطينية، ربيع عام 1980، ص 51.

(57)ـ سيدروف، سرغي، مصدر سابق، ص 25.

(58)ـ المصدر السابق، ص 26.

(59)ـ المصدر السابق، ص 27.

